الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً فى أول كل شهر وفى نصفه

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠	فى مصر والسودان
٥٠	فى الممالك الأخرى
١	ثمن العدد الواحد

الادارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

العدد السابع — ٢٠ صفر سنة ١٣٥٦ — ١ مايو سنة ١٩٣٧ — السنة الأولى

فهرس العدد

صفحة			
٣٩٤	من ذكريات القرية	أقصوصة مصرية ريفية	بقلم أحمد حسن الزيات
٤٠١	الملاكمة		بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى
٤٠٩	يوميات نائب فى الأرياف	صور مصرية	بقلم الأستاذ توفيق الحكيم
٤١٤	دورثيا	للكاتبة الانجليزية مسز جور	بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب
٤١٩	تسى تانا	أقصوصة يابانية	بقلم محمد محمد مصطفى
٤٢٢	فلوريدور ومرجريت	أقصوصة فرنسية	بقلم ف . ف
٤٢٥	على قمم الألب	عن الانجليزية	بقلم أحمد فتحى مرسى
٤٣٠	المرأة الحائرة	لتوماس هاردى	بقلم نظمى خليل
٤٣٧	الأوذيسة	لهوميروس	بقلم الأستاذ دريني خشبة
٤٤٥	اعترافات فتى العصر	لألفريد دى موسيه	بقلم الأستاذ فليكس فارس
٤٥٠	سر أبى الهول	لموريس رستان	بقلم الأستاذ خليل هنداوى

— ١ —

كان أهل القرية يسمونه (البحبوح) لأنه كان غيثاً من الكرم يصيب الأيادى المنكودة، ونسيماً من المرح ينمش الأجسام المجهودة، وشعاعاً من البهجة يغمر النفوس المظلمة. كان ابتسامه الدائم يفيض على وجهه البرنزى إشراقا من الروح العذب يجعله أقرب إلى البياض المشبوب؛ وكانت نكتته على طرف لسانه يرسلها فى المناسبة الجميلة فتفجُر الضحك من الصدور الكظيمة، حتى وصفوه بأنه يضحك حجارة القبر!

كان جميل الهندام؛ يلبس الجلباب الأنيق المحكم على صِدار من الشاهى أو الجوخ قد زرَّ لِفقيه صفٌ منضود من الأزرار الحريرية؛ ويضع على رأسه طاقية من القماش الأبيض المخرم قد أمالها قليلاً إلى الجهة اليمنى من رأسه؛ ويحمل فى يديه المطرزتين بالوشم الأزرق خاتماً أو خاتمين من الفضة البيضاء والعقيق الأحمر؛ أما قدماه فكانتا حافيتين فى الغيط، ناعلتين فى القرية؛ وهو على أية حال كان مثال الظرف للشباب، ونموذج الفتوة فى البلد.

كان المهدى (وهذا هو اسمه) سمهرى القوام، مجدول العضل، جرىء الصدر، شهم الفؤاد، لا يتخلف عن الصف الأول فى كل ما يصيب القرية من أعراس ومآتم ومعارك؛ فكان رابع ثلاثة من أقرانه اشتركوا فى زعامة القوة، وانفرد كل منهم بموهبة من المواهب النادرة تجعله رجلَ وحدِه. فالمهدى يجيد الزمر فى الأرغول، وأحمد يتقن غناء المواويل الحمر، وحسن يحذق النقر على (الدربكة)، وعلى بدير حفلات الأنس وغزوات الليل. وتقسموا على هذه المزايا، هوى الشبان وإعجاب الصبايا؛ فكان لكل منهم حزب من الجنسين يتعصب له ويهتف به وينقاد إليه، فى غير وقاحة تُسقط حياء الفتيات، ولا خصومة تكدر صفاء الفتية.

كانوا يدخنون الحشيش، لا لأنه حكم من أحكام (الكيف) ومرض من أمراض المادة، ولكن لأنه كان فى زمنهم من صبوات الشباب ونزوات الفتوة. وكانوا هم وأتباعهم يسرقون القطن ليلاً من حقوله، لا لأن السرقة فيهم أثر من لؤم الفطرة، بل لأن قوى الشباب الجياشة كانت تحتدم فى رءوسهم وتضطرم فى نفوسهم فلا يجدون لها متنفساً ولا مفيصاً إلا هذه الغزوات الليلية يتحدَّون فيها يقظة الحراس وسطوة الحكومة.

كانت المزرعة البعيدة من مزارع (الأمير) تمسى وهى بيضاء تتألق باللوز المتفتح كما تتألق السماء الصافية بالكواكب الزهر، ثم تصبح وهى سوداء كأنها الأرض بعد الجراد أو الدار بعد الحريق؛ فيرغى (التفتيش) ويزبد، ويبرق (المركز)

ورعد ، ودار المهدى تغنى وترقص وقد أولت (للجدعان) الذين قضوا ليلهم فى العمل الجرىء وليمة سخية لا يقدم فيها غير الحلاوة الطحينية على (الصوانى) وفى (الأماجر) ؛ ثم يخرجون بعد المأدبة الى ضفاف الترعة الجارية فينامون على بساط النجيل ، تحت الصفصاف الظليل ، يغمرهم عبير الفليّة والسّمد ، وينفحهم نسيم اكتوبر المنعش وقد خلص من حرور الصيف الى فتور الخريف . ثم يستيقظون على أنغام الناى الحنون يرسلها المهدى فى الفضاء الصافى فتمتزج بأغانى القرويات الجيلات وهن يقطفن فى أحجارهن لوزات القطن العزيز

كان الناى أو الأرغول للمهدى كاللسان للشاعر أو الحنجرة للبلبل ، ينفخ فيه روحه ، ويصور به عواطفه ، ويرسل منه رسائله ، ويفعل به ما يفعله كوبيدون بسهمه . فهو فى النهار الروح الطروب الهائم فى هبات النسيم ، يرفه عن اللاعبين فى استراحة الطنبور ، أو ظهيرة الحراث ، أو وحشة الساقية ؛ وفى الليل رسول الطرب المتبوع فى حفلات الأعراس ، يجتمع هو ورفاقه الثلاثة فى دار العروس فيجتمع عليهم نساء البلد ورجالها وأطفالها يتمتعون بنغمات المهدى ، ورقصات على ، ونقرات حسن ، ومواويل أحمد

وكان الفتيات الناهدات يتكدسن فى دهليز الدار يتوسمن الوجوه الراغبة أو الخاطبة بعيونهن المسلية الحالمة . وكنا نندسّ بينهن ونحن صغار فنسمع من بين شفاههن اللُّعس ذلك الاعجاب المتردد الهامس بأولئك الذين يدخلون السرور فى كل قلب ، ويبعثون الاعجاب فى كل نفس ، ويقذفون الرعب فى كل مكان خارج القرية . وكان المهدى على الأخص غرض الأنظار المسددة ، وموضوع الأحاديث المرددة ، وبغية كل فتاة منهن أن يكون خاطبها الموعود ورجلها المنتظر

لم يكن المهدى قارئاً ولا كاتباً ، ولكنه كان خيراً من القارئ والكاتب . كان يحسب قطنه قبل أن يضربه الوزان ، ويكمب أرضه قبل أن يقيسها المساح ؛ وكان يحل الأحاجى ويقسم الميراث ويعلم من الشؤون العامة ما لا يعلمه الشيخ عبد الجبار معلم القرية . جمع فى بيته مكتبة صغيرة من سيرة أبى زيد الهلالى وقصة عنترة بن شداد وكتاب فى المواويل وآخر فى الأحاجى والنكت ؛ ثم كان يلتمس المتقدمين من صبيان الكتّاب ، أو المبصرين من فقهاء البلد ، فيقرأون له ولرفاقه فى هذه الكتب حتى حفظ الأشعار والأخبار عن ظهر قلب . وأذكر — وما أجمل ما أذكر — أنى كنت أحب قرائه الى نفسه . ولولاه لما امتلأ ذهنى الصغير بمعانى الشعر وأساطير العرب وأناشيد البطولة

— ٢ —

نزحت الى القاهرة فى طلب العلم ؛ ثم كنت فى الصيف أعود الى القرية فأنسجم فى حياتها ، وأختلط ببنيها وبناتها ، فأغسل دمى بهوائها الطاهر ، وأجلو شعورى بجوها المستنير ، وأهدهد أحلام مستقبلى فى مهد الطفولة

ففى ذات صيف لاحظت أن بالمهدى مَسحةً من هزال لا يعللها مرض ؛ ورأيت أنه قليل الدعابة كثير الوجوم ، يطرق أطراق المهموم ويذهل ذهول الشاعر . وأعجبُ أمره أنه آثر الأرغول على الناى ، ومال عن سير الحرب الى أقاصيص الحب ، وهجر مجالس الفتوة ، وحافظ على الصلوات الخمس فى أوقاتها وراء الامام . فسألته ذات يوم وقد

جاءني بعد انصراف الناس يسألني عن الكتاب الذي يجد فيه أشعار الشيخ حسن جابر المغني :

— مالك يا مهدي تغيرت بعض التغير ؟ أبك علة ؟ ألك حاجة ؟ فأجابني وقد استراح إلى موضوع الحديث كأنما أصاب به نفساً من كربه :

— علتي (ريّا) ، وحاجتي هي !

— ريا ؟ أتحبها ؟

— أموت فيها !

— ولم لا تخطبها إلى أهلها ؟

— يقول أبوها إنني أسرق غيطان الناس وأتعاطى الحرام ولا أصلي

— وماذا ترى أن تفعل ؟

— لا شيء . سيتركها خاطبوها إليّ ، وسيغير أبوها بالطبع رأيه فيّ

* * *

أنا أعرف ريّا ! وهل في قريتي الصغيرة من أجمله حتى أجهل ريا ؟ كانت وحيدة أبيها الحاج حسين ، فطبعها على الدلال ، ونشّأها على الدعة ، ووسع لها في الثياب والزينة ، وأعفاها من أكثر عمل الغيط والبيت ، فشبت على أخلاق المترفين خفيفة الزاد عزوفة النفس مرهفة الحس واهنة الأعصاب رقيقة البدن ؛ ولكنها كانت على الغاية من ملاحة الشكل وصفاء البشرة وعذوبة الروح وسحر الملامح . وأبلغ آيات الجمال فيها عينان ساجيتان وأهداب وُطف ينبعث منها في القلوب مالا تستطيع اللغة أن تسميه ولا العلم أن يصفه . فإذا خرجتْ ساعة الأصيل في أترابها الجميلات يحملن الجرار إلى النهر أو من النهر ، ميّزتَها في مقدمة السرب بقدها الممشوق اللدن ، ومشيتها المختالة الموزونة ، وخاخالها الفضي اللامع من خلال ذيلها الهفهاف ، وجرتها المائلة في أناقة إلى يمين رأسها كأنهما طاقية المهدي ، فلا يسعك إلا أن تصدق ما يقولون من أن أباها يضن بها على الفلاح الذي يبتذل جمالها في إدارة الطنبور وخدمة الماشية

* * *

— وكيف تلقاها يا مهدي ورأيُ أبيها فيك هذا الرأي ؟

— ألقاها كل يوم وهي تسوق الجاموسة من الترعة ؛ تتركها تبترد في الماء ثم تجلس إليّ تحت شجرة التوت فنتساقط أعذب الأحاديث من غرام وشكوى ؛ وأصاحبها وهي ذاهبة على حمارها الأبيض القصير ، تحمل الغداء إلى أبيها في غيطه البعيد ، حتى إذا قاربناه جلست على حوض الساقية أتعقبها بنظري حتى ترجع فأعود معها إلى القرية ؛ وفي بعض الأيام يذهب أبوها إلى السوق فأقضي معها ومع أمها ذلك اليوم السعيد ، لا يكل النظر المتثبِّت في النظر ، ولا يفتر الحديث المتصل بالحديث ، ولا نشعر بالمكان الذي يحصر ، ولا بالزمان الذي يمر ، ولا بالموعد الذي يقترب

وربما ظلت النهار كله مع أبيها في المزرعة تضع بذور القطن في الأرض ، أو تنثر حب الذرة وراء المحراث ، أو تنقي غلت الرز في وسط الماء ، فلا أستطيع أن أراها ؛ فأحاول أن أخفف بُرَحاء الشوق عن قلبي العميد بالنظر إلى حمارها وهو يتمرّغ في الحارة ، أو إلى كلبها وهو رابض على عتبة الباب ، أو إلى عِجْلتها وهي تمشي متئدة أمام أمها إلى الترعة

أرجو ألا تضحك ! إن حب ريا قد صور لي الأشخاص والأشياء على غير الصورة التي تراها ؛ فأنا حقيقة أرى حمارها أجمل الحمير ، وكلبها أظرف الكلاب ، وجاموستها ألطف الجاموس ! إن في

كل أولئك شيئاً منها لا أعرفه . ولو كنت تعلمت لعرفت . !

لقد أحببت غير ريا ؛ ولكنه كان حباً غير هذا الحب . كان حباً لم يتعد السطح ولم ينفذ إلى ما وراء الاحساس فلم يغير فيَّ عادة ولا صفة . أما حبها فقد خلقني خلقة أخرى ، حتى لألتمس المهدى القديم في إهابي فلا أجده : أصبحت لا أميل إلى غزو الليل ، ولا أرغب في لهو النهار ، ولا أفكر في غير الخير . وفي بعض الساعات والخلوات أشعر أن في رأسي عالماً عجيب الألوان غريب الصور تموج فيه الزهور وتطوف به العرائس ، فأستغرق فيه استغراق الطفل في « صندوق الدنيا » ، وأحس سيلاً من المعاني ينهمر على لساني فأحاول الكلام فلا يعبر ، وأجرب الغناء فلا يجدى ، وأجد الأشعار التي حفظتها من عنترة وأبي زيد لا تصور ما في خيالي ولا تنقل ما في خاطري . ولذلك جئت أسألك عن الكتاب الذي أجد فيه أشعار الشيخ حسن جابر المغني فإنها أقرب إلى ما أريد

***

لا تظن يا سيدي أني أزور لك كلام المهدى على عادة الكتاب ليطَّرد الحديث على أسلوب واحد . الحق أن المهدى كان بذكائه وعقله كاتباً لا ينقصه إلا القلم ، وبخياله وحسه شاعراً لا يعوزه إلا القيثار . هذه هي معانيه لم أنقص منها ولم أزد عليها . ولو كنت أذكر اليوم ألفاظه لما ترددت في تسجيلها

انصرف المهدى عني وغاب فلم أعد ألقاه عندي ولا أراه عند غيري . فسألت عنه ذات يوم رفيقه أحمد صاحب الصوت الأبيض والموال الأحمر ، فقال وهو يبتسم في خبث ويشير في بأس :

— أوه ! إنه لا يكاد يفارق ريا ولا أهل ريا : يعمل مع أبيها في الغيط ، ويكاد يعمل مع أمها في المنزل ؛ وهو الذي يسقي الجاموسة ويعلف الحمار ويرعى شؤون الأسرة

— إذن قبل أبوها أن يزوجها منه ؟

— نعم ، قبل بعد أن تحقق أنه ترك الحرام وعزف عن اللهو وعكف على العبادة وأخذ عهداً على السيد القصبي . وهم الآن يرصدون الأهبة لحفلة العقد ، ويمدون المدة لزفة الزواج

— ٣ —

بيع القطن ومسحت على الجيوب الفارغة يد قارون ؛ ومست الشبانَ الأعزاب مواسُّ الهوى فذهب كل منهم يسعى لأهله البنت التي صفر لها (الصفار) واشترى لها (القوايش) وأهدى إليها (الحلاوة) ؛ وأخذ الشيخ عبد الوهاب مأذون القرية يتنقل من دار إلى دار وتحت إبطه دفتره المريض وفي حزامه دواته النحاس ، يعقد العقد ويأخذ المنديل ويشرب السكر ويسمع طاقة البندقية التي تعلن عقد الزواج للفتيات المنتظرات حين يقول للعريس : « بارك الله لك فيها » ؛ وأقبل الزمار الصيِّت (أبو سعد) بطبوله ومزاميره ومهرجيه ، فلبث في القرية الساكنة أسبوعين جعلها فيهما صورة صغيرة من (مولد السيد) ؛ وتساءل الوافدون على الأفراح : أين المهدى ؟ لم يظهر في زفة من الزفات ، ولم يسهر في سامر من السوامر ! وكان العرف الجاري أنه هو الذي يقاول (الطبل) ، ويهندم العريس ، وينظم الزفة ، ويقترح الأدوار على (أبو سعد) ، ويرسم لموكب الزفاف الزائط مكان الوقوف وزمان الحركة . ولقد تحدثت الصاحبات منذ شهرين أن زفاف ريا إلى المهدى سيكون افتتاح الموسم ، وأن شعراء (الربابة) ، ومنشدي المواويل ،

ولاعبي البرجاس ، وضاربي (الحطب) سيتقاطرون على البلد يؤدون إلى المهدى بعض ما أولاهم فى سالف العهد من أياد وصنائع

— هل عندك يا على خبر عن المهدى ؟ هل هو مريض ؟

— هو فى أمان الله ، ولكن ريا مريضة

— منذ كم ؟

— منذ شهر

— وماذا تشكو ؟

— يقولون إنها (ممذورة) ، فهي لا تتكلم ، ولا تبتسم ، ولا تشتهى الطعام ، ولا تذوق السكرى . وقد عدتها بالأمس فوجدتها مسبوتة على الحصير ، زائغة البصر ، ساهمة الوجه ، ترفع يداً وتضع أخرى ، ثم تبكى من غير سبب ، وتنتفض من غير حمى ، ويدركها الذهول حيناً فتغمض عينيها ولا تتحرك . وكانت أمها على رأسها تروّح عليها ، والمهدى بجانبها يذب عنها ، وأبوها أمام الحجرة يدخن فى تفكير وحزن ، فسألت أمها :

— كيف حال ريا اليوم ؟

— كما ترى . ولقد ذهبت اليوم ومعى منديلها إلى الشيخ فرج ؛ فقاس الأثر وفتح الكتاب ، ثم قال إنها ألقت ماء بالليل أمام الفرن ولم تبسمل ، فوقع على أطفال من الجن فركبها أبوهم . ولقد كتب لها حجاباً كبيراً حملناه إليها فحملته ، ورسم بالحبر أشكالاً فى طبق ثم محاها بالماء وسقيناها إياه فشربته ؛ ولكن ريا لاتزال ذابلة ذاهلة ، لا يطمئن بها فراش ، ولا يسكن لها عصب !

— ولماذا لا تطلبون لها الشيخ عبد الجبار ؟

— لقد فكرنا فى ذلك . وسيذهب المهدى بعد صلاة العشاء يدعوه

* * *

والشيخ عبد الجبار هذا ضرير فى حدود السبعين نحيل الخيال لاصب الجلد ، ولكنه مسمور الجسم متين العصب . كان شيخ الفقهاء ومعلم الصبيان فى القرية ؛ وقد تنفس به العمر حتى ربى جيلين من رجالها ؛ فكان يتمتع لذلك بنفوذ واسع واحترام عظيم . وكان وافر اللب شديد الدهاء رزين الطبع ، ثم أكسبته مزاولة التعليم على الأسلوب القديم سلاطة اللسان وخشونة اليد وقساوة القلب ، فقلما تخرّج من كتّابه متخرج دون أن تصاحبه عاهة فى بدنه . لقد كان يضرب الصبي بالجريدة حتى يفقد الوعى ؛ ثم يتركه لأنه تعب لا لأنه أشفق . وكان إذا تهدد أو توعد ظهر غضبه المتسعر فى مقلتيه الجاحظتين على رغم انطفائهما ، فلم أر أعمى يؤثر بعينيه غيره . وكانوا يسمونه (جلاد الشيطان) لأن الجن الذين يركبون الجبلات كانوا يرتعدون فرَقاً من طلعته . وليس الجن وحدهم هم الذين كانوا يرهبونه ، فقد كنا وكان الصبيان إذا مر الشيخ عبد الجبار فى زعبوطه الأسود ، يده على كتف قائده ، ورأسه الدقيق غائب فى عمامته الضخمة ، وخده الشاحب مصعّر للناس ، وأذنه المنصوبة مرهفة للغط الطريق ، وقفنا صامتين راهبين كأن جنازة تمر !

— ٤ —

لقد كنت وا أسفا من شهود هذا الحادث الفاجع ، فأنا أقصه عليك كما حدث . لا يزال على طول العهد حياً فى ذاكرتى رهيباً فى نفسى كأنه وقع أمس . والحوادث اليسيرة تجد خلودها فى أعماق الحافظة الصغيرة ، فكيف بالحادث الجلل ؟

جاء المهدى بالشيخ عبد الجبار بعد صلاة العشاء إلى ريا ؛ وأقبل أهل الحارة ومن سمع من رجال القرية إلى البيت الحزين القلق يساهمون فى

الرجاء والدعاء والأسف ، فملأوا الحجرة وشغلوا الدهليز وسالوا خارج العتبة . وكانت ريا ساهمة كأنها صورة الحلم الهنيء ؛ فلما دخل الشيخ عليها حملقت فيه بعينيها ثم صرخت صرخة شديدة ؛ فدمدم النساء آسفات وقال بعضهن لبعض : عرف جلاده ففزع ! ليت ذلك كان من زمان !

جلس عبد الجبار عند قدمي ريا ، وجلس بجانبه عريف الكتاب ومعه حزمة من جريد النخل المشذب المصقول مما يستعمله فى تأديب الغلاظ الشداد من «أولاد المكتب» ، ودواة من الخزف الأخضر ، وقلم من القصب الأبيض ، وخرقة بالية معقودة على شيء . ثم أخذ يسألها سؤال العارف :

— ماذا بك يا ريا ؟

— لا شيء يا سيدنا

فلما رأى سيدنا الصوت طبيعياً والجواب عاديا قال لنفسه وهو يسمع الناس :

— هيه ! لقد هرب ؛ ولا بد من استحضاره

ثم فك العقدة عما فى الخرقة فاذا هو فتات من اللبان والجاوى . ودعا العريف بموقد النار فوضع فيه البخور فأفعم أرجه الحجرة . حينئذ أخذ الشيخ يتلو العزائم بصوت يشبه الدمدمة فلا يكاد يتبين منه حرف . ثم كان يتحمس عند بعض المقاطع فيشتد ويحتد ويذكر بعض الأسماء الغريبة ، حتى هيج دخان البخور وهمهمة الشيخ وازدحام الحجرة أعصاب المريضة المسكينة فاختلجت أطرافها اختلاجا أحسه الأعمى ، فأمسك عن التلاوة وأمر برفع الموقد وأشار إلى عريفه أن يبدأ العمل

تقدم العريف المجرب وتناول يدها اليمنى وكتب على ظفر إبهامها كلمة أملاها عليه الشيخ همساً ؛ ثم كتب كلمة أخرى على ظفر السبابة ، ثم على أظفار الوسطى والبنصر والخنصر ، وفعل باليد اليسرى ما فعل باليد اليمنى ؛ ثم تناول الرجلين متعاقبتين فكتب على أظفارها العشرة ما أملاه الفقيه عليه . ثم أعلن بعد ذلك جلاد الشيطان أنه حبس العفريت فى جسمها فلا يستطيع أن يخرج . وانقلبت سحنة الشيخ فجأة فاربد وجهه ، وجحظت عيناه ، وغلى دمه ، وصاح فى غلامه :

— جاد ! هات (الفلقة) !

وجاء جاد بالفلقة فوضعها فى قدمى ريا مكان الخلخال الفضى اللامع ؛ ثم شدها وأمسك من طرف وأمسك شاب آخر من طرف . واستل الأعمى جريدة من الحزمة وبرك على ركبتيه وبصق فى يده ، ثم أنحى على المريضة المنهوكة ضرباً دراكا يهدم جسم الجان بله الانسان !

كانت ريا تصرخ صراخاً عالياً متوالياً من الضرب الموجع ، والقوم صامتون وفى سرهم الشماتة بالشيطان الذى يلتمس الرحمة فلا يجد ، ويحاول الهزيمة فلا يستطيع

تحطمت الجريدة الأولى فوقف عبد الجبار وأقبل بوجهه المتضمر على ريا الضارعة وقال فى تهديد وحنق :

— هيه ! قل لى ما اسمك ؟

— ؟

— أمؤمن أنت أم كافر ؟

— ؟

— قل لى من أى القبائل والفصائل أنت ؟

— ؟

— أتعاهدنى على تركها وأنا أسامحك وأطلقك ؟

— ؟

كان الأعمى يلقى هذه الأسئلة المتحدية على العفريت الأسير فى جسم ريا ، وريا تئن أنيناً متصلاً

فى استرخاء وخفوت وضراعة ، والقوم حولها ينتظرون إجابة الشيطان وأبصارهم شاخصة وأفواههم مغلقة ، والألسنة خارج الحجرة تتناقل صمته الغريب فى همس وعجب ، والشيخ عبد الجبار يحدّق بعينه البيضاء فى عين المصباح الخافت ويقول : يا سلام ! ما رأيت أعند من هذا الملعون ! يا جاد ! هات الجريدة الثانية !

وشد الفلقة جادٌ من جديد ، وبرك الشيخ الجبار على ركبتيه من جديد ، ثم شرع يدق القدمين النحيلتين دقاً عنيفاً بالجريدة الثقيلة ؛ وهبت قوى الفتاة المذخورة تدافع الألم الممض بالصراخ الدامع والاستغاثة المبتهلة :

— أنا فى عرض النبي ! أنقذينى يا أماه ! أغثنى يا مهدى ! أنا أموت ! ليس على شيء ! آه !

لم يجد هذا الهتاف المؤلم سمعاً من أحد ؛ لأنهم يعتقدون باخلاص أن المارد العنيد يخدعهم عن نفسه ، وأن ريا الحقيقية النائمة فى غلاف من العفريت لا تدرى ولا تحس . وكلّت يد الجبار من الضرب فحل محله شاب قوى . وتحطمت الجريدة الثانية والثالثة ، وجلاد الشيطان يعيد الأسئلة بين فترة وفترة فلا يسمع إلا الجواب الطبيعي أو الأنين المستسلم

وزاد عجب الناس من عناد الجنى الكافر ، واشتد سخط المهدى على هذا الرجيم الذى غلبه على حبيبته ، فتناول الجريدة الرابعة ووقف بجانب الأعمى وقد كان يهمهم ويدمدم ، وأخذ يلهب قدمى حبيبته المبيودتين بالعصا المضرسة المبرومة ! وريا .. أوه ! لا تسلنى حينئذ عن حال ريا . إن فى بعض مظاهر النفس ودلالات الملامح ما يقف أمامه البيان الانسانى أبكم لا ينطق وعيياً لا يبين . وماذا عسى اللفظ المعمى الجامد أن يصور لك حال ريا وقد فتحت عينيها الداميتين فوجدت المهدى — ملجأ فزعها وصرفاً دمعها — يصب على جسمها الناحل هذا العذاب ؟

لم تعد ريا تصرخ ولا تستغيث ، وإنما كانت تنتفض للضربة والضربة انتفاضة الملسوع ؛ ثم ترسل مدامعها الغزار فى صمت ، وتقلص شفتيها الرقيقتين فى مضض . ووقعت عين المهدى على هذا الوجه الشهيد المحتضر فاسترخت يده وارتمى على الأرض مستخرطا فى البكاء . فانتهر عبد الجبار هذا الضارب الخروع وتناول الجريدة وصاح :

— جاد ! أعد نظرك فى الأظافر فلعل بعضها قد امّحت عنه الكتابة فيهرب

ففحص العريف أطراف البنان المرسلة وأصابع القدمين الممزقة ، ثم قال فى اطمئنان الواثق بعمله :

— الكتابة سليمة يا سيدنا

حينئذ أخذ الجبار يفكر فى عذاب آخر ، ولكنه أراد أن ينذر به الجنى قبل تنفيذه ؛ فزحف حتى بلغ رأس المريضة ، ثم ألصق فمه بأذنها وأخذ يسارّه . ولكن ما باله ارتبك ؟ إنه ولا ريب لاحظ كما لاحظ القوم أن ريا تنسم نسماً لا يكاد يظهر على المرآة ، وأن العفريت مهما عُذب لا يخمد هذا الخمود ، فأحس الخطر وتوقع الكارثة . وأراد الخبيث أن (ينقذ الموقف) كما يعبرون فقال :

لقد وعدنى أن يشاور نفسه ؛ فدعوه الآن هادئاً يفكر حتى يصبح الصباح !

* * *

وفى الصباح ذهب عبد الجبار وادعاً يفتح الكتّاب ، وذهب أبو ريا هالماً يفتح القبر !

ومنذ ذلك اليوم المشئوم مات المهدى الذى عرفته فى أول القصة ، وعاش فى جسمه المهدود مخلوق آخر لا هو شخص ولا هو شيء !

الزيات